# الفصل الثاني: غابرييل غارثيا ماركيث والواقعية السحرية

## المبحث الأول: سيرته الذاتية وأعماله الأدبية

## المبحث الثاني: الواقعية السحرية

# المبحث الأول
# سيرته الذاتية وأعماله الأدبية

## أولاً: سيرته الذاتية

ولد ماركيث فى أراكاتاكا عام ١٩٢٨م، وتلقى تعليمه في بارانكيا وفي بوغوتا التى مارس فيها مهنة الصحافة أيضًا منذ عام ١٩٥٠م إذ كان مراسلاً لصحيفة الإسبكتادور التي تصدر في العاصمة حيث كان مراسلاً لها فى أوربا عام ١٩٥٤م.

عاش طفولته حتى التاسعة في كنف جديه لأمه، ثم درس فى مدرسة مونتيورى السنوات الأولى من تعليمه الابتدائي وبعدها انتقل للعيش مع والده فى مدينة بارانكيه الواقعة على الساحل الأطلسي، درس سنتين من المرحلة الثانوية ثم حصل على منحة دراسية أنهي تعليمه الثانوي في مدينة ثيبا كيرة القريبة من بوجوتا. (١)

قد اعترف ماركيث ذات مرة بأن أكبر التأثيرات الأدبية في رواياته جاءت من خلال معايشته لجديه في أراكاتاكا حتى سن التاسعة، ومن قراءته المبكرة لحكايات (ألف ليلة وليلة). (٢)

فجده نيكولاس ريكياردو ماركيث يعد أهم شخصية في حياته فهو الذي حدثه عن الموت وكأنه حضور يطارد الأحياء باستمرار، وهو الذي غمره بأقاصيص سحرية وحكايات واقعية عن الحرب الأهلية الكولومبية بين المحافظين والليبراليين التي عرفت باسم (حرب الألف يوم)، وهو الذي أخذه أيضًا من يده ذات يوم وسار معه في شوارع اراكاتاكا لكي يتعرف على السيرك، ظلت هذه الصورة عالقة في ذهنه إلى جانب صور أخرى.

---

(١) حسين عيد: جارسيا ماركيث وأفول الديكتاتورية، دراسة في رواية خريف البطريرك، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٨م، ص٧.

(٢) حامد أبو أحمد: دراسات نقدية في الأدبين العربي والأسباني، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٦، ص٣٢٣.

أما علاقته بجدته ترانكلينا فكانت على العكس من جده، فهي علاقة تتجه نحو الداخل كنوع من استلهام الصورة وبالفعل فانه مع وحلول الليل كانت الجدة لكي توقف اندفاع الطفل في كل شيء وفي كل وقت ومكان تجلسه على كرسي في الصالة وتهدده بأنه إذا تحرك فسوف تأخذه روح عمته (تبرا) أو عمه (لويس)، وهذه هي الصورة الخصبة الواردة فى أولى قصصه "الورقة الساقطة" والتي وردت أيضًا في باقي قصصه مع بعض التغيير. (١)

وقد أمضى غارثيا فترة من حياته في روما وباريس، ثم سافر إلى أقطار الشرق الأوربي عام ١٩٥٧، ثم انطلق من هناك إلى لندن وكاراكاس ونيويورك والمكسيك وبرشلونة وإلى جانب رواياته المتعددة وقصصه الكثيرة كتب المئات من المقالات الصحفية وبعض سيناريوهات الأفلام. (٢)

وكانت الصحافة غرام ماركيث القديم فانتهز ذكرى الاحتفال بعيد ميلاده الثاني والسبعين، وبعد فراق أربعين عاماً للصحافة اشترى مجلة أخبار كولومبية فاشلة وخاسرة، وانضم إلى هيئة محرريها ومراسليها، وجاءت هذه الثقة مفاجأة لبني جلدته وللعالم الذي ينتظر فيه أن يفي بوعده بكتابة المزيد من الروايات الجديدة التي لا تزال (حسب قوله)، في أحشائه، لكن المقربين من غارثيا لم يفاجأوا، فقد راودته فكرة إصدار صحيفة اسمها "الأوترو" أو "الآخر"، فى حين دراسته سبل إصدارها اقترح عليه فريق من الصحفيين أن يشتري مجلة تسمى "كامبيو" "التغيير"، فرحب ماركيث بهذه الفكرة لأنها تمثل العودة إلى (غرامه الأول)، والمعروف عن ماركيث شغفه بالصحافة إذ قال عنها: "الصحافة هي المهنة الوحيدة التي أعشقها وأنا أعد نفسي دومًا صحفيًا

---

(١) حامد أبو أحمد: دراسات نقدية في الأدبين العربي والأسباني، مرجع سابق، ص٣٢٣، ٣٢٤.

(٢) داريو بياتوتبا .خ. م. بينيايستى: مسار الرواية الأسبانو أمريكية الراهنة من الواقعية السحرية إلى الثمانينات، ترجمة د. محمد أبو العطا نشر المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة ١٩٩٨م. ص٣١٧.

لكنه !!!، أضاف مازحًا (لم يقبل أحد أن أعمل صحفيًّا بعد فوزي بنوبل عام ١٩٨٢، لأن الراتب مكلف، أما الآن فأنا أدفع المال حتى تنشر لى مقالات صحفية". [١]

احتل ماركيث رسميًا موقع رئيس هيئة مجلة (كامبيو) بعدّه أكبر حملة الأسهم، وأصدرت المجلة له بطاقة تحمل عنوان رئيس المؤسسة، وقد سعد ماركيث بها وأخرجها لزائر أمريكي قائلاً بابتسامة ماكرة: "لم يسبق لي أن حصلت على بطاقة رئيس من قبل"، أما ما يكتبه ماركيث للمجلة فيتراوح بين كتابة تعليق أو مراجعة كتاب أو تعليق على حواره وانتدبته المجلة مراسلاً لتغطية المفاوضات بين الحكومة والثوار اليساريين. [٢]

وفي عام ١٩٥٥م أغلق الدكتاتور غوستافور روخاس[٣] جريدة اسبكتادور فانقطع الرزق الذي كان يعتمد عليه ماركيث في معيشته في باريس، فأرسلت له الجريدة تذكرة عودة إلى بلده لكنه استرد ثمنها، وعكف على كتابة روايته "ليس لدى الكولونيل من يكاتبه" فصرف كل مدخراته ولم يكن يستطيع أن يعمل دون بطاقة عمل ودون أن يعرف الفرنسية، فكان يقوم بترتيب الصحف وبيعها أو بيع الزجاجات الفارغة وهذه المأساة دفعته إلى اخباره صاحبة فندق "فلاندر" وزوجها بباريس بعدم قدرته على الدفع، فسمح له بالنوم في غرفة على سطح الفندق فاستطاع كتابة رواية "ليس لدى الكولونيل من يكاتبه".[٤]

وتزوج ماركيث من مرسيديس عام ١٩٥٨م وأنجبت منه ولدين هما روديغو وغونزالو، وبعد هذا الزواج سافر إلى هافانا فاختاره فيدل كاستروا لينشئ مكتبًا لوكالة الأنباء الكوبية الجديدة "برنسا لاتينا"، وهكذا عمل في كراكس ثم نيويورك حيث حضر الجلسة الشهيرة التي دق فيها خرشوف بحذائه على طاولة الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة.

---

(١) عبد الفتاح عوض: قراءات في اللغة والأدب الأسباني "أسبانيا وأمريكا اللاتينية" عينة للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ط القاهرة ٢٠٠٢، ص١٦٧.

(٢) السابق، ص١٦٨.

(٣) السابق، نفس الصفحة.

(٤) حسين عيد: جارسيا ماركيث وأفول الديكتاتورية، مرجع سابق، ص٨، ٩.

كما أتاح له عمله هذا أن يتعرف على الهيئة العامة للأمم المتحدة، أتاح له أيضًا أن يتعرف على تشي جيفارا، لكنه استقال ليتفرغ إلى إنتاجه الأدبي، وقد شجعه على ذلك بيع ثلاثين ألف نسخة من روايته الأولى "الورقة الساقطة"، وملأت روايته "ليس لدى الكولونيل من يكاتبه" واجهات المكتبات. وفي عام ١٩٦٠ وصل إلى المكسيك حيث استقر في مكسيكو سيتى لمدة ثماني سنوات كان يكتب فيها سينما لأن إيراد كتبه لم يكن يكفيه. (١)

وفي عام ١٩٦٧م نشر أعظم أعماله وهي رواية "مائة عام من العزلة"، ولم تنجح أي رواية من روايات أمريكا اللاتينية كما نجحت هذه الرواية في التوصل إلى الخيال العام، فقد بيعت منها مئات الآلاف من النسخ في أمريكا اللاتينية وأسبانيا، كما تُرجمت إلى عدة لغات، وقد تبين أنها استحوذت على اهتمام معظم القراء في أمريكا اللاتينية بالإضافة إلى تحمس عدد كبير من أساتذة الجامعات لها ومن السيدات أيضًا اللاتي يقرأن التراجم الأسبانية أمثال أجاثا كريستي فهذا الحماس يبدو حماسًا خارقًا. (٢)

وفى النهاية رحل إلى أسبانيا لكن في برشلونة وهو يقول عن هذا القرار: "كانت هذه فرصتي لأقيم في برشلونة، فقد كنت قادرًا على العيش من إيرادات كتبي وأشبع نهمي في أن أظل أقرأ وأكتب"، وقد غادر برشلونة إلى فيتنام، ليكتب عن تجربتها في الحرب، ليعود ويستقر به المقام أخيرًا في باريس.(٣)

وفي عام ١٩٨٢م حصل ماركيث على جائزة نوبل للآداب تقديرًا لجهوده الحثيثة في كتابة القصص القصيرة والروايات التي تجمع بين الخيال والواقع في عالم هادئ من

---

(١) حسين عيد: جارسيا ماركيز وأفول الديكتاتورية، مرجع السابق، ص٩، ١٠.

(٢) د. ب. غالفر: أدب أمريكا اللاتينية الحديثة، ترجمة محمد صفر داود، نشر وزارة الثقافة والإعلام، ط٢، بغداد ١٩٨٦، ص١٩٠.

(٣) حسين عيد: جارسيا ماركيث وأفول الديكتاتورية، مرجع سابق، ص١٠.

الخيال المثمر، بعكس حياة القارة وصراعاتها، وقد شكل ماركيث جزءًا من مجموعة من أحد عشر كاتبًا حازوا جائزة نوبل للآداب. [١]

كما يعد أول أديب كولومبي يفوز بهذه الجائزة والرابع بالنسبة لأمريكا اللاتينية، فقد فاز قبله غابريلا مسترال ١٩٤٥، وميجيل أنجل عام ١٩٦٧م، وبابلو عام ١٩٧١م. ويعد ماركيث الفائز رقم التاسع السبعين بجائزة نوبل للآداب منذ إنشائها عام ١٩٠١م. [٢]

## ثانيًا أعماله الأدبية[٣]

### ١. الروايات

| | |
|---|---|
| أ. الورقة الساقطة | ١٩٥٥ |
| ب. ليس لدى الكولونيل من يكاتبه | ١٩٥٧ |
| ج. الساعة السيئة (في ساعة نحس) | ١٩٦٢ |
| د. مائة عام من العزلة | ١٩٦٧ |
| ه. قصة غريق | ١٩٧٠ |
| و. خريف البطريرك | ١٩٧٥ |
| ز. وقائع موت معلن | ١٩٨١ |
| ح. الحب في زمن الكوليرا | ١٩٨٥ |
| ط. الجنرال في متاهته | ١٩٨٩ |
| ي. عن الحب وشياطين أخرى | ١٩٩٤ |
| ك. ذكريات عاهراتي الحزينات | ٢٠٠٤ |

---

(١) حسين عيد: جارسيا ماركيث وأفول الديكتاتورية، مرجع سابق، ص٥، وانظر: جريدة البوابة الانترنت www.albawab news.com.

(٢) السابق، ص٥.

(٣) السابق، ص١١، وانظر:

جريدة الأهرام: رحل الساحر تاركا عصاه، صفحة الأدب، ط٢، العدد ٤٦٥٢٣، بتاريخ ٢٢ أبريل ٢٠١٤، ص٥.

**٢. المجموعات القصصية**

أ. عيون كلب أزرق ١٩٤٧

ب. جنازة الأم الكبيرة ١٩٦٢

ج. الحكاية العجيبة والحزينة لايريندیرا البريئة مع جدتها التي لا قلب لها ١٩٧٨

د. حجاج من نوع غريب ١٩٩٣

ه. اثنتا عشرة قصة قصيرة مهاجرة ١٩٧٦-١٩٩٤

- عشت لأروي: كتب فيها سيرته الذاتية ٢٠٠٢

# المبحث الثاني
# الواقعية السحرية

## مقدمة

يتضمن مفهوم الواقعية السحرية كلمتين معًا: الواقع والسحر. وللوهلة الأولى يحتوى المفهوم على دلالات تمزج بين عناصر النص الواقعي وعناصر النص الخرافي، ويوضع المفهوم عن انبثاقه من ثقافات يشكل السحر إحدى مفرداتها ومن جماعات تضع السحر على خريطة حياتها القائمة.

من هذا المنطلق تكاتفت الواقعية مع السحرية، وشكلت منظومة حديثة شغلت اهتمام كثير من الكتاب والنقاد، فلجأ المبدعون إلى الخوض في هذا المصطلح، لما فيه من غرائب وعجائب تتلاءم مع ما نعيشه اليوم؛ فهو عبارة عن "قص حديث يضم أحداثًا غرائبية فانتازية في سرد يحتفظ بالنغمة الموثوق بها لسرد واقعي موضوعي".(١)

إذن الواقعية السحرية هنا ليست نقيضًا للواقعية، أو ليست انقطاعًا عن الواقع، بل هي إثراء له من خلال السماح بإدخال عنصر جدلي في بنيتها، بهدف إيجاد واقع جديد تتناغم وتتشابك فيه عدة عناصر معقولة ولا معقولة، منطقية ولا منطقية، بحيث تندمج عناصر الواقع مع عناصر الخيال المتمثلة في السحر والخوارق والفانتازيا والأساطير.(٢)

لقد تجاوز الفن الوجود المادي من خلال مراحله المختلفة وأظهر درجة عالية من الغنى سواء أكان ذلك في الموضوعات التي عبر عنها أم الهدف الذي سعى إليه، وما الواقعية السحرية إلا وسيلة من تلك الوسائل التي أعطت البشرية حلولاً لكي تنمي وتحيي من جديد مع العلاقات القوية بين الإنسان والعالم والإنسان والكائنات المرئية أو المخفية، وتتعقد أواصر تلك العلاقات تارة بين الخيال وأخرى بين الواقع.

---

(١) إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الحديثة، دار شرقيات للنشر، ط١، ٢٠٠٠، ص٢٦٧.

(٢) د. فوزي عيسى: الواقعية السحرية في الرواية العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٩، ص٣.

ولابد أن أشير في هذه المقدمة إلى أن الواقعية السحرية لها صلة كبيرة بثقافة العرب وتراثهم الممتد عبر آلاف السنين لاسيما وأن معظم من حملوا على عاتقهم التعريف بهذا التيار تحدثوا عن ولعهم اللامحدود بحكايات ألف ليلة وليلة وتأثيرها الكبير فيهم حتى أن الكاتب الأرجنتيني خورخي لويس بورخس الذي ذاع صيته كان يحمل معه كتاب الليالي في أي مكان وزمان، بالإضافة إلى ذلك فإن الواقعية السحرية موجودة في بعض الأعمال الروائية العربية المعاصرة. (١)

لقد عالجت الواقعية، السحرية وبطريقة تخيلية معظم الصورة والأشكال التي تقع خارج حدود وعى الإنسان، إضافة إلى ذلك فإنها تستجيب لكل تقدم من العلوم والتكنولوجيا الحديثة سواء أكانت في المستقبل القريب أو البعيد، كما تبحث الواقعية السحرية في تجسيد تأملات الإنسان في احتمالية الوجود، ومنها احتمالية وافتراض وجود حياة أخرى في عالم الفضاء الواسع أو في عوالم ربما هي مخفية عن عالمنا المرئي(٢)

إذن نفهم من هذه المقدمة أن الواقعية السحرية هي الواقعية في حد ذاتها لكنها تقوم برصد الزوايا المخفية وتفتش عن الزوايا والتفاصيل الدقيقة في الواقع، فالسحر في حد ذاته هو أشياء واقعية مخفية لا يمكن إنكار ذلك ولا يمكن للإنسان العادي أن يجده أو يراه، بل إن المختصّين في هذا المجال لهم تجربة ومهارة واسعة للخوض في مثل هذه الأفعال وإيجاد حقائق تخفى عن هذا العالم إلا لمن يبحث عنها، فالواقعية السحرية ما هي إلا نوع فني تظهر فيه عناصر سحرية أو سيناريوهات غير منطقية في واقع مختلف أو حتى في أطر عادية، لكن الأهم هو أن التفاعل مع هذا النوع من العمل الفني محاولةُ محو الخط الذي يقف بين والواقع والخيال.

---

(١) حامد أبو أحمد: فى الواقعية السحرية، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، القاهرة ٢٠٠٨، ص١٦، ١٧.

(٢) سيروان رفعت أحمد الزنكنه: الواقعية السحرية، بحيث منشور فى الحوار المتمدن، العدد ٣٨٠١، بتاريخ ٢٠١٢/٧/٢٧، ومنشور على موقع الجريدة على النت: www.alhewar.org.

## الواقعية السحرية: المفهوم والنشأة والتطور

### أولاً: مفهومها لغويًّا:

إن الواقعية السحرية مكونة من مفردتين هما الواقعية والسحرية؛ وهاتان الكلمتان واضحتان لا يرقى إليهما الشك بالنسبة للغتهما.(١)

### الواقعية السحرية: اصطلاحًا

يعرفها تودوروف بأنها: "أدب يقبل وجود الواقع والطبيعي والعادي ليستطيع فيما بعد دحضها جميعًا". (٢)

وقد وجدنا بين ثنايا المصادر والبحوث تعاريف كثيرة لمفهوم الواقعية السحرية سأذكر بعضًا منها:

يعرفها ماركيث بقوله: "إن الأشياء الأكثر دخولاً في حالة الاعتساف الظاهر تحكمها قوانين، والمرء يستطيع أن يزيح مساحة العقل بشرط ألا يقع في الفوضى، أي في اللاعقلانية المطلقة." (٣)

ويعرفها الدكتور فوزي عيسى بأنها "مزيج من الواقع والخيال، ومن خصائصها أن العادي واليومي يتحول إلى ما هو مرعب وغير واقعي، فهو فن المفاجآت حيث يحدث غير الواقعي على أنه جزء من الواقع، وليس للأحداث التي تقع فيها تفسير منطقي، إنها لا تحاول أن تستنتج الواقع بل تحاول أن تفهم الغموض الكامن من وراء الأشياء، وهي محاولة لفهم التلاحم الحميم بين الواقع والخيال". (٤)

---

(١) شعيب حليفي: شرعية الرواية الفانطاستيكية، نشر المجلس الأعلى للثقافة، مصر ١٩٩٧، ص٣١.

(٢) السابق، نفس الصفحة.

(٣) حامد أبو حمد: في الواقعية السحرية، مرجع سابق، ص٤٤.

(٤) د. فوزي عيسى: الواقعية السحرية في الرواية العربية، مرجع سابق، ص٦.

لقد ورد تعريف الواقعية السحرية في العديد من الموسوعات والمعاجم ومنها:

تعريفها فى قاموس أوكسفورد للمصطلحات الأدبية على أنها: " نوع من الرواية الحديثة يتضمن السرد فيها أحداثًا خرافية وخيالية تظل محتفظة بطابع الموثوقية في الروي الواقعي الموضوعي، وهي تدل على ميل الرواية الحديثة للوصول إلى ما وراء حدود الواقعية وإعادة صياغة قدرات الخرافة والحكاية التراثية والأسطورة في الوقت الذي تظل محتفظة فيه بصلة ارتباط قوية. والصفات الخيالية التي تمنح للشخصيات في هذه الروايات مثل القدرة على الطيران أو السباحة في الهواء والتخاطر والحركية، هي بين الوسائل التي تتبناها الواقعية السحرية" (١)

فى حيث تقول عنها موسوعة الأدب العالمي في القرن العشرين: "إنها اندماج متفرد لمعتقدات وخرافات مجموعات ثقافية مختلفة وشأنها شأن الأسطورة فإنها توفر أيضا طريقة توليفية وإجمالية بصورة أساسية لوصف الواقع، وقد وجدت أرضيتها في الواقع اليومي وعبرت عن دهشة الإنسان إزاء عجائب العالم الواقعي، وهي تنقل للقارئ رؤية للسمات الخيالية للواقع".(٢)

أما الدكتور حامد أبو أحمد فيرى أن الواقعية السحرية هي: اتجاه عالمي معروف في التصوير والفن الأدبي وخاصة في الرسم اليدوي والفن النثري، وعادة ما يكون الإطار السطحي للعمل الفني واقعيًا تقليديًا لكنه يحمل بين ثناياه عناصر متباينة كالخوارق والأسطورة والحلم والفانتازيا، وقد غزا هذا الاتجاه الواقعية وحول الأساس الكلي للفن.(٣)

---

(١) د. فوزي عيسى: الواقعية السحرية في الرواية الغربية، مرجع سابق، ص٥،
وانظر : إيناس نبيل محمد شومان: الواقعية السحرية في الرواية المصرية المعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية ٢٠١٠، ص٣٥.

(٢) د. فوزي عيسى، الواقعية السحرية في الرواية الغربية، مرجع سابق، ص٥.

(٣) د. حامد أبو أحمد: في الواقعية السحرية، مرجع سابق، ص٢١.

فى حيث يرى آخرون أن مصطلح الواقعية في الرسم استعمل في ذلك الحقل للدلالة على نوع من الرسم القريب من السريالية؛ حيث تكون الموضوعات المرسومة والأشياء قريبة في غرابتها من عوالم الحلم وما يخرج عن المألوف من أشكال، فهذه الغرائبية جزء أساسي من دلالات الواقعية السحرية كما شاعت في الأدب خاصة في القصة إذ أنها تضاف هنا بصورة أساسية إلى تفاصيل الواقع إذ يرسم القاص تفاصيله رسمًا موغلاً في البساطة والألفة.(١)

كما تعرف بأنها التوازن الدقيق والمحسوب بين عنصرين هما الواقعي والفانتازي أو الخيالي، فالواقعي هو ما يجري من أحداث على أرض الواقع؛ ولهذا قال ماركيث" ليس في أعمالي سطر واحد لا يقوم على أساس واقعي،(٢) أما الجانب الفانتازي فهو استعمال عناصر غير واقعية، ولابد أن يتم المزج بين الواقعي والفانتازي من خلال تقنيات وأساليب حداثية متقدمة مثل تحويل العمل القصصي إلى عمل شعري بمعنى أن يكون العمل على درجة من الإتقان واكتمال عناصر الفن وثورية الرؤية والتغلغل في عمق الذات والسيطرة على اللغة ليشعر القارئ أنه أمام عمل قصصي فذ ومؤثر وفيه قدر كبير من الإمتاع وإثارة الدهشة وتفجير القدرات الإبداعية عند القارئ.(٣)

أما صاحب معجم المصطلحات الأدبية فعرف الواقعية السحرية بأنها عبارة عن قص حديث يضم أحداثًا غرائبية فانتازية. (٤) أما استيفان تودروف فعرفها في كتابه مدخل للأدب السحري ١٩٧٠ "إن القصة السحرية تصف عالمًا شديد الشبه بعالم الواقع اليومي الذي نعيش فيه جميعًا، وفجأة نرى مشهدًا يتم فيه خرق قواعد المنطق وقوانين الطبيعة، كيف يمكن تفسير ما حدث؟ إننا نجد أنفسنا مترددين بين حلين؛ الأول: أنه

---

(١) د. ميجان الرويلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، مطبقة العيبكان، الريـــاض،١٩٩٥، ص١٧٣، ١٧٤.

(٢) حوار غابرييل غارثيا ماركيث: رحلة رجوع إلى المنبع، ترجمة حسين عيد، مجلة الفيصل السعودية العدد ٣٥٠، سبتمبر ٢٠٠٥، ص١١٠.

(٣) د. حامد أبو أحمد: الواقعية السحرية، مجلة الهلال، عدد أغسطس ٢٠٠٥، ص١٤٨.

(٤) إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، مرجع سابق، ص٢٦٧.

نوع من الهذيان أو الرؤية غير الصحيحة وبالتالي تظل قوانين الطبيعة سارية المفعول، والثاني: أن هذا الخرق غير المنطقي وغير الطبيعي حدث بالفعل وفي هذه الحالة علينا أن نقر أن العالم فيه قوى غامضة".(١)

وقد حاول الدكتور صلاح فضل أن يفرق بين مفهومي الواقعية السحرية والتعبيرية، فيرى أن التعبيرية أولت اهتمامًا بالغًا بالعناصر الخيالية المعرفة وللجوانب الاجتماعية معًا، في حين أن الواقعية السحرية تفادت عالم ما وراء الطبيعة ولا تبرر سلوك الإنسان بالتحليلات الاجتماعية، بل يتمثل هدفها الرئيس في التقاط الأسرار التي تختفي تحت مظاهر الواقع أو أكثر ما يظهر ذلك في الرسم؛ لذلك يسعى الفنان التعبيري للهروب دائمًا من الواقع إلى عوالم أخرى لا تمت للواقع بصلة، فالفنان في الواقعية السحرية يواجه الواقع محاولاً فك طلاسمه ورموزه وهذا ما يحدث أيضًا في الأدب القصصي فإن الأحداث المهمة في القصة التي تستند على الواقعية السحرية لا تخضع للشروح المنطقية أو الاجتماعية؛ فالكاتب لا ينقل الواقع حرفيًا ولا يبعد عنه تمامًا إلى عوالم أخرى غير متماسكة كما في السريالية ولكنه يلتقط السر المهم الكامن في أحشائه.(٢)

ومن خلال هذا المفهوم المتعدد لمعنى الواقعية السحرية الذي رُصد من التعريفات السابقة خلص الباحث إلى وضع مفهوم شامل لها؛ فهي الجمع بين الواقعي المادي والوهمي الغرائبي عمليًا في الحياة أو فنيًا في الروايات من خلال استخدام أسلوب أدبي رفيع يوظف هذه الغرائبية بتلقائية وفجائية متعمقة.

أما أصول الواقعية السحرية التي ظهرت في مصر وعالمنا العربي فتعود إلى حكايات ألف ليلة وليلة بالإضافة إلى قصص التراث والمقامات والأمثال الشعبية والمأثور

---

(١) نقلاً عن كتاب انريسكي اندرسون إمبرت: القصة القصيرة والتقنية، ترجمة علي منـــوفي، مراجعة صلاح فضل، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة ٢٠٠٠، ص٢٤٠.

(٢) د. صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، ط٥، القـــاهرة ١٩٩٥م، ص٣١،٣٢.

الشعبي، فالواقعية السحرية تحمل في طياتها الخيال ولكن على أرض الواقع وعالم الخيال في بنية سردية جديدة ومتداخلة. [١]

**خصائص الواقعية السحرية**

بعد أن تناولنا مفهوم هذه المدرسة الفنية نرى من الفائدة أن نستعرض بعض ملامح الواقعية السحرية التي استعرضها أحد النقاد، [٢] ويمكن توضيحها بالآتي:

١. إن الأساس في ظهور أدب الواقعية السحرية هو وجود الواقع العجائبي.
٢. يمكن التعبير عنها في أشكال شعبية أو مثقفة، وفي أساليب مصوغة بدقة أو عامية، وفي أبنية مقفلة أو مفتوحة.
٣. بواسطتها يتم تعامل الكاتب مع الواقع ويحاول أن يكشف أسراره وأن يكتشف ما هو سري ومرمز في الأشياء وفي الحياة وفي الأفعال الإنسانية.
٤. إن الواقع السحري لا يحاول أن ينسخ كما يفعل الواقعيون أو يجرح الواقع كما يفعل السيرياليون، إنما يحاول أن يقتنص السر الذي ينبض في الأشياء.
٥. إن الأحداث الرئيسة في الواقعية السحرية ليس لها أي تفسير منطقي أو سيكولوجي.
٦. إن الكاتب الواقعي السحري عندما يريد أن يقتنص أسرار الواقع فإنه يسمو بأحاسيسه القصوى لكي تسمح له بالتنبؤ بالصيغ غير الملحوظة للعالم الخارجي؛ هذا العالم المتعدد الأشكال والذي يعيش فيه الجميع.
٧. إن المؤلف في الأعمال ذات التوجه الواقعي السحري عادة ما يكون في غير حاجة إلى تبرير ما هو سري في الأحداث.

---

(١) إيناس نبيل محمد شومان: الواقعية السحرية في الرواية المصرية المعاصرة، مرجع سابق، ص٨.

(٢) د. حامد أبو أحمد: في الواقعية السحرية، مرجع سابق، ص٣٦، ٣٧.

فمن الطبعي إذا توافرت هذه المقومات السابقة أصبح من السهل تلاشي الفواصل والحدود، ويساعد ذلك ما نعيشه اليوم من تناقضات وعوالم غيبية ونقلات غير متوقعة، فكثير ما يختلط الحي بالجماد، والمعقول بالعبثي، وتطفو على السطح رؤية خاصة من نوع فريد هي: " رؤية كونية سحرية للعالم، رؤية لا تاريخية تمحي فيها الحدود بين الأحياء والجماد أو بين الثقافة والطبيعة، حيث تكتسب الأشياء والظواهر قدرات مميزة وخواص متعددة. (١)

**ثانيًا: نشأة الواقعية السحرية**

ارتبط هذا المصطلح في نشأته الأولى بإحدى حركات التحديث في الفنون التشكيلية، وخاصة في التصوير في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، وذلك قبل أن يستعيره النقد الأدبي الأمريكي والأوروبي في الستينيات، ويستخدمها لوصف تيار الرواية والقصة الجديدة المعاصرة في أمريكا، الذي انتشر بعد ذلك فامتد إلى معظم دول العالم. ولعل ذلك الفضل يعود إلى الناقد الألماني فرانتس روه (Franz Roh) في صك هذا المصطلح الذي جمع بين دلالات الواقعية المختصة باستخدام عناصر من الواقع الاجتماعي الحسي والمرئي في تكوين أحداث وشخصيات العمل الفني، وعناصر أخرى تنتمي إلى عالم الذهن والخيال المناقض والمغاير للعالم الواقعي الحسي.(٢)

---

(١) د. صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الفني، مرجع سابق، ص٢٩٤.

(٢) أشرف علي محمد: أثر التصوير الميتافيزيقي على الواقعية السحرية في ألمانيا والولايات المتحدة، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان ٢٠٠٥م، ص١٠٣، وانظر: د. فوزي عيسى: الواقعية السحرية في الرواية العربية، مرجع سابق، ص٧،

الشيئية: هي نزعة الاهتمام بالأشياء العادية التي تحيط بالناس أو الشخصيات الفنية التي يرسمها الفنان أو الأديب دون الاهتمام الحقيقي بإنسانية هذه الشخصيات، ولكن مع تطور الفلسفة الكامنة وراء هذا الاهتمام شرع الأدباء يربحون الشخصيات الإنسانية نفسها بالطريقة ذاتها أي بوصفهم أشياء فيما؛ أصبح يعرف بـ تشيو الإنسان أو تحول الإنسان إلى مجرد شيء أو أحد العناصر الجامدة في البيئة وكأنه مفعول به دائمًا وليس فاعلاً أبدًا.

لقد وصف فرانتس روه أعمال فناني الواقعية السحرية الذين جمعتهم في ميونخ عام ١٩٢٤ مدرسة الشيئية (الموضوعية الجديدة) بأنها تجمع هذه العناصر المتناقضة في وحدة فنية متماسكة لكي تظهر أن الحقيقة الإنسانية تمتزج فيها دائمًا عناصر مادية وأخرى ذهنية أسطورية خرافية وخيالية تتيح للشعور الإنساني الإحساس الشامل بالزمان والمكان والتاريخ والمعاناة النفسية الجماعية والفردية والعلاقات الاجتماعية. (١)

لذلك يمكن تحديد ميلاد الواقعية السحرية في العقد الثاني من القرن العشرين، حيث تبلورت وظهرت جوانبها المكتملة فيما بعد، فقد استعملها فرانتس روه في عنوان كتاب ناقض فيه بعض خصائص وتوجهات الرسم الألماني وتوجيهاته في مطلع القرن، ثم واصل استعماله في الحقل للدلالة على نوع من الرسم القريب من السريالية. (٢)

ولعل ارتباط الواقعية السحرية بفن الرسم وما فيه من غرابة، جعل اتصاله بالفن القصصي فيما بعد حلقة من حلقات نضوج المصطلح واكتماله، ثم تبين أن الصلة قد توثقت إذ إن "الموضوعات المرسومة والأشياء قريبة في غرابتها من عوالم الحلم، وما يخرج عن العالم المألوف من أشكال هذه العجائبية الغرائبية ورموزها هو جزء فعال من دلالات الواقعية السحرية، كما شاعت في الأدب خاصة بشكليها الرئيسين الرواية والقصة القصيرة غير أنها تضاف هنا وبشكل أساسي إلى تفاصيل الواقع أيضًا.(٣)

أما الدكتور حامد أبو أحمد فيرى أن الواقعية السحرية قد ظهرت في أمريكا اللاتينية في فترة متقدمة من القرن العشرين، وهو يتفق مع معظم الآراء التي حددتها الفترة نفسها لكنه أضاف أن ظهورها قد اتضح من الأسماء التي مثلت هذا الاتجاه وقد

---

(١) د. فوزي عيسى: الواقعية السحرية في الرواية العربية، مرجع سابق، ص٧.

(٢) د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط، ٢٠٠٠، ص٢٣١.

(٣) عبد التواب حامد تهامي رضوان: الواقعية السحرية في خطاب محمد مستجاب القصصي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الألسن، جامعة عين شمس، ٢٠٠٨، ص٣.

حصرها في ستة أشخاص هم: أليخو كاربنتيير، وميجيل أنخل أستورياس، وخورخي لويس بورخيس، وخوليو كورثاثار، وخوان رولف، وغابرييل غارثيا ماركيث.[١]

وعن أليخو كاربنتيير (١٩٠٤، ١٩٨٠) فهو قاص وروائي وكاتب مقال من كوبا، وقد عمل سفيرًا لبلاده في باريس في حين أن أستورياس (١٨٩٩- ١٩٧٤) شاعر وقاص وإعلامي ومسرحي من جواتيمالا، وقد درس هو الآخر في فرنسا بين عامي ١٩٢٤- ١٩٣٦، أما بورخيس فهو من مواليد الأرجنتين عام ١٨٩٩ ومكث مع أسرته في أسبانيا فترة طويلة، أما كورتاثار المولود عام ١٩١٤ فهو الآخر من الأرجنتين وإن كانت ولادته في بلجيكا لعمل والده السياسي الدبلوماسي هناك، وقد ولد خوان رولف في المكسيك عام ١٩١٨ وهو روائي وقاص ومصور وكاتب سيناريو، أما وعن غابرييل غارثيا ماركيث فقد ولد في عام ١٩٢٨ في كولومبيا وترجمت بعض أعماله إلى اللغة العربية مثل رواية مائة عام من العزلة.[٢]

وعندما نلقي نظرة على هؤلاء الأعلام سيتضح أنهم ينتمون إلى حقبة واحدة مثّلت فترة ظهور نبوغهم في الربع الثاني من القرن العشرين، أي فترة ما بين الحربين العالميتين، وكان كل هؤلاء الأدباء ينتمون إلى العالم الثالث الفقير الذي يعاني أزمة حرية وتخلف ومعظمهم عاش بين بلاده وأوروبا، فرأى التفاوت في الحريات ومفاهيم الحياة الأخرى والدخل فأدركوا أن المعيار العالمي للإنسانية الراقية هو المعيار الغربي، وأن الروح المحلية لهويته لا حضور لها على خريطة العالم الثقافية، ومن هذا المنطلق سعوا إلى ترسيخ هويتهم الثقافية بأساطيرها وخرافاتها ورموزها وعناصرها الجمالية المؤثرة في عقول أبنائها وأرواحهم لطرح وجودهم الحيوي في قلب العالم، فتوجهوا بتفهم وإدراك

---

(١) حامد أبو أحمد: الواقعية السحرية في أمريكا اللاتينية، محلية القصة يصدر عن نادي القصة، بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ١٠٤، يونيه ٢٠٠١، ص٥١، ٥٢.

(٢) إنجي محمود مبروك السعدني: الرحلة في الرواية بين الواقعية والواقعية السحرية دراسة موازنة بين النداهة ليوسف إدريس وعاشق الحي ليوسف أبو رية، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الألسن، جامعة عين شمس ٢٠١٠، ص٣٥.

إلى أهمية تراثهم الثقافي وعرفوا كيف يتفننون فيه من خلال إنتاج كيان جديد منه وليس اجتراره كما هو بصيغته القديمة.[١]

لقد استطاع هؤلاء المبدعون ابتكار مفهوم الواقعية السحرية التي استطاعت إثراء الأدب العالمي، فحفظت لهذه النخبة المبدعة مكانتها في تاريخ الفكر الإنساني إذ ناغموا بين خصوصية هويتهم ومدى ما أفادوه من الثقافة الغربية بالوقت نفسه فتمكنوا من كسر احتكار أوربا لصناعة الأدب، ومن ثم تحول كتاب العالم الثالث من مستهلكين للمويتيفات الأدبية التي يصدرها الغرب إلى منتجين لها.[٢]

أما الدكتور فوزي عيسى فيوضح أن رواية الواقعية السحرية أو ما يطلق عليها أيضًا رواية الطفرة قد انطلقت من أمريكا اللاتينية؛ تلك القارة التي تزدحم بالألوان والصور والمشاهد السحرية العجائبية لتحتل مشهد الإبداع والفن في العالم، فهي لم تعد محصورة في أدب أمريكا اللاتينية فقط بل وجدت لها أبوابًا واسعة عند العديد من الكتاب من خارج القارة ينتمون إلى ثقافات مختلفة واستطاعوا أن يوظفوا جماليات الواقعية السحرية في رواياتهم.[٣]

فإذا كان غارثيا ماركيث قد ارتبط اسمه بهذا الاتجاه ربما أكثر من غيره بسبب رواياته التي تركت أصداء واسعة في شتى أنحاء العالم وبالأخص روايته الشهيرة (مائة عام من العزلة)، فالحقيقة هنا أن كل قاص في داخل هذا الإطار له عالمه الخاص؛ فعالم بورخيس مثلاً جاء من ثقافات عديدة وهذا يغاير عالم ماركيث الذي يقتصر على

---

(١) إنجي محمود مبروك السعدني: الرحلة في الرواية بين الواقعية والواقعية السحرية، مرجع سابق، ص٣٦.

(٢) عبد العزيز موافي: أفق النص الروائي، دراسات تطبيقية في الرواية والقصة القصيرة، سلسلة كتابات نقدية، العدد ٣٧ إصدارات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، فبراير ١٩٩٥م، ص٤٥.

(٣) د. فوزي عيسي: الواقعية السحرية في الرواية العربية، مرجع سابق، ص١٠.

الصنعة الروائية، وهذا يؤكد أنه ليس هناك شكل واحد يمكن أن يجمع كل الكتاب في صفة واحدة.[١]

أما ماركيث فيعترف صراحة من خلال حواراته مع بلينيو ميندوثا أن في "منطقة الكاريبي التي انتسب إليها اختلط الخيال الفياض للعبيد الأفارقة بخيال أبناء البلد الأصليين من الكولومبيين السابقين، ثم أضيف إلى ذلك شطحات الأندلسيين وممارسة الجلقيين (أبناء منطقة جليقية في إسبانيا) للشعائر الخارقة للعادة، ومن هنا ظهر أدب وموسيقى يعبران إجماليًا عن هذه المنطقة من العالم.[٢]

بينما يرى أحد النقاد أن ظهور الواقعية السحرية أو العجائبية ليس بالضرورة من نتاج الواقع العجائبى وإنما من ثمرة الواقع المروع من خلال الآتي: [٣]

١- اللجوء إلى طرق أخرى للتعبير نتيجة الإحساس بالضيق من رتابة العقل وتنظيم المنطق.
٢- إن التطور المتتابع في الحياة والحضارة أبعدنا عن وجودنا الحقيقي، فأصبحت هناك حاجة ماسة إلى التغير في أسلوب الرواية وشكلها الأدبي.
٣- إن فرض العلمانية سطوتها على الحياة دفع بالحاجة إلى متنفس للتعبير عن التضجر والسأم من المعقول.

هكذا احتلت الواقعية السحرية مكانة متميزة ورائعة في الأدب العالمي، فهي حلم سحري ونوع من التحليق في سماء الإبداع وعالم الخيال، فهي نوع جديد من الأدب يمتلك رؤى سحرية خاصة تجمع بين طياتها كمًّا هائلًا من الفلسفات والرؤى الإنسانية

---

(١) د. فوزي عيسي: الواقعية السحرية في الرواية العربية، مرجع سابق، ص١٠.

(٢) غابربيل غارثيا ماركيث: رائد الواقعية السحرية، ترجمة د. عبد الله حمادي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع إهداء لمكتبة الإسكندرية عام ١٩٩٨، ص٢٩٥.

(٣) إيناس نبيل محمد شومان: الواقعية السحرية في الرواية المصرية، مرجع سابق، ص١٣.

المعاصرة والخيال والمثيولوجيا والرومانسية وحكايات العجائز والقبح السياسي والروايات بين الواقع والخيال القريب من الحقيقة، فاستحوذت على إعجاب القراء والمهتمين بهذا الفن في معظم دول العالم.

نعم إنه أدب وفن يتميز بتوفر عنصر الفانتازيا في صلب الرواية أو القصة مع وجود حاسة التشويق والمتعة.

ويرى البعض أن الواقعية السحرية قد جاءت نتيجة للشعور بالإحباط من سياسة المستعمر، أو هي تعبير جديد استخدم لوصف هذا الخيال وجعله يبدو مختلفًا عن الأدب الآخر، أو هي أسلوب انتهجه كتاب أميركا اللاتينية لإحداث انتعاش اقتصادي في تلك البلاد المنهكة من سياسة التدخل والهيمنة الإمبريالية وفشل الثورات. والبعض الآخر اعتقد أن الواقعية السحرية استخدمت على نطاق محدود جدًّا ويبدو أنها سلكت طريقًا مغايرًا لإزاحة الخيال عن الأدب الجاد.(١)

**ثالثًا: تطور الواقعية السحرية**

لم يقتصر مصطلح الواقعية السحرية على هذا المكان دون غيره ولم يبقَ أسيرًا في أمريكا اللاتينية رغم الإمكانات المتاحة له، بل تخطى وتجاوز الحدود ليظهر في العديد من الأماكن الأخرى حاملاً معه العديد من الملامح المميزة له، " اتسع المصطلح ليشمل أعمالاً من بلاد مختلفة تحاول اكتشاف مسارات جديدة للسرد الروائي مبتعثة طاقات الحكاية الخرافية والحكايات الشعبية والأسطورة، مع الاحتفاظ بالدلالة الاجتماعية المعاصرة على نحو شديد البروز "(٢)

ومن المعلوم أن لكل مكان طبيعته الخاصة التي تختلف عن غيره من الأماكن، كما أن هناك شخصيات تتأثر بهذا المكان وتؤثر فيه، بل يتعدى الأمر أحيانًا إلى أن يصنع منه

---

(١) اقتصار الغريب: الواقعية السحرية، بحث منشور على الإنترنت بتاريخ ٢٠١٢/٧/٢٢، على موقع منتديات تخاطب www.ta5atub.com.

(٢) إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الحديثة، مرجع سابق، ص٢٦٧.

واقعًا يفوق كل ما هو موجود؛ فحكايات ألف ليلة وليلة خير شاهد على ذلك، فقد نهل منها الكتاب في إبداعاتهم كونها معيناً لا ينضب، وهو ما يؤكد غنى البيئة العربية بتراثها، فتميز الكتاب العرب في استخدامهم لهذا المصطلح الذي لا يعد: "تراثًا خاصًّا بأدب أمريكا اللاتينية؛ ففي أسبانيا نجد قصص الفرسان فانتازيا كثيرة مثلما نجد عند ماركيث، وكذلك في الأدب الألماني، وفي الأدب الفرنسي، وبالنسبة للأدب العربي نعرف أن بورخيس العارف الكبير بهذا الأدب استخدم كثيرًا من العناصر الخيالية الموجودة في "ألف ليلة وليلة" لصياغة أدبه". (١)

إذن البيئة تمثل المكان الخصب الذي يرتوي منه كل أديب مع التمسك بلغة فياضة تجول هنا وتدوس هناك، فالواقع اليوم متخم بالغريب والخيالي وهذا مدعاة للغوص فيه من قبل الكتاب فمن يحسن ويجيد اللعبة فنيًّا بجميع متعلقاتها يصل إلى التمييز لأن: "تلك هي المعادلة الصعبة التي نجح فيها الأدباء من أمريكا اللاتينية فتفوقوا على نظرائهم من أوروبا وكتاب الشمال الذين مارسوا الواقعية والتعبيرية بما فيها من تفاصيل جمعية ورؤية فردية، كما مارسوا الفانتازيا بجوها الكابوسي أو العبث بلا منطقية".(٢)

هكذا ازدهر وتطور اتجاه الواقعية السحرية في أمريكا اللاتينية في ستينيات القرن الماضي، وقد تبناه مجموعة من أبرز المبدعين الروائيين وعلى رأسهم غابرييل ماركيث الذي فاز بجائزة نوبل العالمية في الآداب وحقق شهرة واسعة. كما أن هناك عوامل كثيرة أسهمت في تطور اتجاه الواقعية السحرية وازدهارها في أمريكا اللاتينية بشكل خاص كونها قارة تعاني من تداخل العصور، فكل شيء يحدث في وقت واحد، القدم والحداثة وفيها يختلط الواقع بالخرافة والسحر بالأسطورة، فالواقع في أمريكا

---

(١) عبد التواب حامد تهامى رضوان: الواقعية السحرية في خطاب محمد مستجاب القصصي، مرجع سابق، ص٤.

(٢) د. عبد المعطي صالح: الواقعية السحرية في ثوبها العربي، مجلة القصة، العدد ١٠٤، يونيه ٢٠٠١، ص٥١، وانظر: عبد التواب حامد تهامي، السابق، ص٤.

اللاتينية يموج بأشياء غريبة لا يصدقها عقل، حتى أن ماركيث نفسه قد أشار إلى تكون الواقع الأسطوري في منطقة الكاريبي بفعل عوامل وثقافات مختلفة فقال: "في المنطقة التي ولدت فيها توجد أشكال ثقافية ذات جذور أفريقية مختلفة جدًّا عن الأشكال السائدة في المناطق الأخرى ذات الثقافات الأصلية". (١)

وانتشرت الواقعية السحرية في بلاد العالم الثالث الذي يتشابه في أحواله وظروفه مع أهل أمريكا اللاتينية، فلجأ المبدعون العرب إلى النهل من تراثهم الفني يبحثون عما فيه من شعبيات يفيدون منها في صياغة شخصية وخلقها، كما اعتمد هؤلاء على الرموز الشعبية والحكايات الشفهية التي تحمل الوجه العجيب والغريب في الروح الجمعية لكي يتمكنوا من الكفاية على غرار أدباء أمريكا اللاتينية مواكبين لحركة التطور في الأدب العالمي.(٢)

ويرى الدكتور عبد المعطى صالح أن الابتداء بالتقليد جعل هناك فجوة بين الواقعية السحرية اللاتينية والواقعية السحرية الغريبة؛ لأن: "المبدع العربي لم يستطع إلا في حالات قليلة أن يمزج العنصرين الواقعي والفانتازي معًا على الرغم من أنهما يعملان جنبًا إلى جنب في سلوكنا اليومي الذي يبدو منطقيًا ومألوفًا" (٣)

ونفهم من ذلك أن محاولتنا في الثقافة العربية للثورة على هيمنة الثقافة الغربية قد أتت تابعة لسياق ثقافي آخر هو السياق الأمريكي اللاتيني، ورغم ذلك يجب أن نأخذ في الحسبان أن هناك منطقة إنسانية عامة يشترك فيها كل البشر، وهناك محطات حضارية متشابهة يقفون فيها، وهناك تراث محلي يمكن استثماره وهناك أزمة إنسانية تستلزم التعبير عنها بشكل ما.

---

(١) د. فوزي عيسى: الواقعية السحرية في الرواية العربية، مرجع سابق، ص٨، ٩.

(٢) إنجي محمود مبروك السعدني: الرحلة في الرواية بين الواقعية والواقعية السحرية، مرجع سابق، ص٣٨.

(٣) د. عبد المعطى صالح: الواقعية السحرية في ثوبها الغربي، مرجع سابق، ص٦٠.

كما يمكن القول أيضًا إن هذا التأثر هو الإفراز التلقائي لأدب ما بعد الاستعمار في الدول التي استقلت سياسيًا لكن التبعية الثقافية ظلت سائدة فيها.

فهناك من يرى "أن استيراد الذوق لا يعني استيراد سيارة أو مصنع بل يعني تشكيل إنسان في صورة غريبة فيصير مسخًا من القرود"، [١] وعليه فإن التأثر والمحلية من سمات الأدب العالمي فكلاهما إذا توفر وبجدية ساعد الآخر في التفرد؛ ولهذا شهدت السنوات الأخيرة شعور عدد كبير من القاصين والروائيين العرب بهذه الحالة وهم يطالعون كتابات روائية أمريكا اللاتينية، ويتوقفون عند تلك المحلية المشوبة بنزعة طقوسية عارمة منحت تلك الروايات مزاجها الخاص ووفرت لها مكانتها في الرواية العالمية.[٢]

ولكن لم يكن انتشار الواقعية السحرية في السرد العربي عامة ومصر خاصة وليدَ مصادفة التأثير غير المحسوب، بل كان التراث الشعبي في أحيان ليست بالقليلة أمام المبدع المحلي وهذا أمر وارد وطبعي بالنسبة لواقع ثقافي له تراث شعبي واسع وخير مثال على ذلك ألف ليلة وليلة التي غزت الفانتازيا العالمية بأسرها، فظهر توظيف الفانتازيا النابعة من البيئة المحلية في أعمال مهمة مثل نائب عزرائيل ليوسف السباعي، واستمر توالي تطور التوظيف مع التأثر بالواقعية السحرية في أعمال أخرى شديدة الأهمية كالحرافيش لنجيب محفوظ، وديروط الشريف والتاريخ السري لنعمان عبد الحافظ للروائي محمد مستجاب،[٣] وهاتف المغيب ومتون الأهرام لجمال الغيطاني،

---

(١) د. عبد الحميد إبراهيم: مقالات في النقد الأدبي، دار الهداية، جـ٣، القاهرة ١٩٨٧م، ص١٩.

(٢) د. محسن جاسم الموسوي: الرواية العربية، النشأة والتحول، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٨م ص٢٠٧.

(٣) ولد محمد مستجاب في مركز ديروك بمحافظة أسيوط عام ١٩٣٨، كتب في القصة والرواية والمقال الأدبي تمكن من نسج إبداعاته في جو يختلط فيه الحلم مع الأسطورة مع واقعية ساحرة انظر ويكيبديا الموسوعة الحرة ar wikipedia.org .

ورحلات الطرشجي الحلوجي وبغلة العرش والسنيورة ونسف الأدمغة لخيري شلبي، ومقامات عربية لمحمد ناجي، والرجل العاري لعادل عصمت، والمتاهة لمحمد قطب، والقط الرمادي لأحمد الشيخ، وهراء متاهة قوطية لمصطفى ذكرى، والمملوك لمحمد الناصر أبو زيد، وغادة الأساطير الحاملة لمحمد العشري.[١]

بهذا الشكل نقول إن الواقعية السحرية يمكن أن تكون أسلوبًا جديدًا أو طريقة جديدة للنظر ولرؤية الأشياء وهذه لم تتبع قط من مظهر ما متغير أو متبدل ولكن أيضاً من رؤية متغيرة لظواهر الحياة، وهذا يقتضي توجهًا ما مستقى ومأخوذًا من المحيط الحضاري والدائرة الحيوية اليومية، فالوجود الذي نراه للشيء ليس هو الكيان الكامل له، لكن هناك وجودًا آخر لا مرئي هو الوحيد الحقيقي له لكن لا يتأتى لنا أن نحققه، وما ندركه برؤيتنا للشيء هو جزء أو سطح من الكيان اللامرئي.

والواقعية السحرية كما يراها الدكتور حامد أبو أحمد تقوم على ثلاثة ارتباطات أساسية هي العجائبي[٢] والأسطوري[٣] والسريالي[٤]، وهذه الانطباعات الثلاثة لها هي نفسها ارتباط آخر أقوى وأهم هو التطور الذي حدث في الفن الحديث وفي مثل حالتنا في كتاب القصة والرواية بصفة خاصة، فالذي يستطيع أن يدخل عالم الجن والعفاريت هو

---

(١) د. سيد محمد قطب: الأشباح تسكن حارتنا، مدخل القراءة الواقعية السحرية، مجلة القصة العدد ١٠٤ يونيه ٢٠٠١، ص٧٥، ٧٦.

(٢) العجائبي: هو أن العجب حيرة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه، انظر : زكريا القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، قدمه وحققه فاروق سعد، نشر دار الآفاق الجديدة، ط، بيروت ١٩٧٧، ص٣١.

(٣) الأسطورة: هي خلاصة تجارب حضارية متعددة وحصيلة أجيال متتالية وهي جوهر تفكير وتأمل طويلين عبر عصور متلاحقة وهي رمز يقبله الناس كافة من أزمان بعيدة، انظر: د.أحمد عثمان: على هامش الأسطورة الإغريقية في شعر السياب، مجلة فصول، مجلد ٤، عدد ٤ سبتمبر ١٩٨٣، القاهرة، ص٣٧.

(٤) السريالية: هي تمزيق الحدود المألوفة للواقع المعروف عن طريق إدخال علاقات جديدة ومضامين جديدة غير مستقاة من الواقع التقليدي، انظر: د. شكري عياد: البطل في الأدب والأساطير نقلاً عن د. فوزي عيسى: الواقعية السحرية في الرواية العربية، مرجع سابق، ص١٤.

الجانب العجائبي في إبداعه الروائي وليس لديه وعي بالتطور الذي حدث في فن الرواية، ولا شك مطلقًا فى أن كتاب الواقعية السحرية كانوا من أكثر الكُتاب عمقًا وقدرة على إقامة بناء حديث معقد لكنه في الوقت نفسه سهل التناول، وقد أدى هذا في العالم الغربي إلى استقطاب ملايين القراء وجذبهم من كافة أرجاء المعمورة كافة، وعليه فإن الواقعية السحرية حركة حديثة نشأت في أمريكا اللاتينية وازدهرت لتلقى اهتمامًا واسعًا من الجميع، وهذه الحركة لها جذور عندنا تأثر بها كتاب أمريكا اللاتينية أنفسهم واعترفوا بذلك، وهذه هي المعادلة التي لابد أن نكون على وعي بها ونحن نتحدث عن الواقعية السحرية أو ندرسها أو نقارنها بهذا التيار أو ذاك أو نحاول تطبيقها على أعمال تتعلق بالقصة أو الرواية[١]

---

(١) د. حامد أبو أحمد: الواقعية السحرية في الرواية العربية، بحث منشور في جريدة الثـــورة، العدد ١٧١٨٨، في ديسمبر ٢٠١١، على الموقع www.althawra news.net.